الباب الثانى

الاحتلال كظاهرة

ويتضمن الموضوعات التالية:-

- ظاهرة الاستعمار
- عوامل مساعدة لعودة حركة الاحتلال
- أسباب الاحتلال الأوروبى
- التحرك الصليبى ضد الاسلام
- الموقف الفرنسى

obeikandl.com

obeikandl.com

ظاهرة الاحتلال

يعد الاحتلال قديماً قدم الإنسان بسبب الهجرات والغزوات منذ التاريخ القديم للبشرية، ولكن هذه التحركات لم تكن مقننة أو مخططة حيث أنها لم تتجه تدريجياً وبشكل أوضح نحو الاحتلال إلا مع تطور المجتمع والحضارة وزيادة الارتباط البيئي، بين الجماعات والأقاليم، مع زيادة نمو الدولة كشكل سياسي، وقد حدثت صراعات مختلفة في العالم القديم بين قوي البر والبحر، وكان البحر المتوسط هو المسرح الرئيسي لمثل هذه الأنشطة حيث كانت موجات الاحتلال البحري تقطع البحر في كل اتجاه مثلاً من فينيقيا إلي قرطاجنة، ومن أثينا إلي آسيا الصغري وإيطاليا، ومن قرطاجنة إلي ايبيريا، وتطلعت قوة البحر أولا إلي التوسع الأقليمي في الأراضي المقابلة والمجاورة علي اليابس، وبدأ بذلك تأسيس الإمبراطوريات البحرية المترامية الشهيرة في التاريخ التي انطلقت من اليونان وروما حيث كونت الإمبراطورية الرومانية نموذج الدولة العالمية التي كانت بمثابة نمط أولي بدائي لامبراطوريات الاحتلال الأوروبي في عصرنا الحديث.

أما بالنسبة للدولة العربية الإسلامية التي امتدت في العصور الوسطي من أطراف الصين إلي أبواب فرنسا، والتي يزعم بعض الكتاب الغربيين أنها كانت إمبراطورية استعمارية، فإنها كانت في حقيقة الأمر دولة تحرير بكل معاني الكلمة لأنها حررت كل هذه المناطق الواسعة من سيطرة الاحتلال الروماني أو الفارسي المتداعي واضطهاده الوثني وابتزازه المادي، وبعد قيام هذه الدولة العالمية لم تعرف أية نزعة عنصرية أو حاجزاً لونياً بل كانت وحدة مفتوحة من الاختلاط والتزاوج الحر، وما عرفت أبداً أية شعوبية أو حاجزاً حضارياً حيث كانت وسطاً حضارياً متجانساً مشاعاً للجميع، كما لم تخلق نواة مركزية متميزة علي سائر المقاطعات والاقاليم لأن عاصمتها السياسية انتقلت من المدينة المنورة إلي الشام والعراق ثم مصر الفاطمية، كما كان للمغرب مركزاً آخر للقوة وكذلك الأندلس مما جعلها أول كومونولث في التاريخ بالمعني الحديث مع فارق أنها لم تمر بالمرحلة الاستعمارية المشينة التي مر بها كومونولث اليوم.

ويمكن تقسيم الاحتلال الغربي في العصور الحديثة إلي مرحلتين أولهما تغطي القرنين السادس عشر والسابع عشر، وتركز علي الاحتلال الاستيطاني، وثانيتهما تحتل القرن التاسع عشر ويسودها طابع الاحتلال الاستغلالي، كما يرتبط هذا التطور بالكشوف الجغرافية التي صاحبت التوسع التجاري في المرحلة الأولي فإنه يرتبط بالثورة الصناعية في المرحلة الثانية، وبدأت الكشوف في نهاية القرن الخامس عشر وأوائل

القرن السادس عشر من قبل البرتغال الذي استأنف مع الأسبان الصراع الصليبي ليبدأ بذلك استعماراً كاثوليكياً موجهاً ضد الإسلام والمسلمين، فمنذ غارات القرصنة الأسبانية علي المغرب وقبل الاسترداد النهائي لأسبانيا عام ١٤٩٢م انتزع الأسبان مدينتي سبتة ومليلة علي الساحل المقابل بينما بدأ البرتغال بعد ذلك بقليل في إقامة مستعمرة علي الساحل الأفريقي للمغرب، والواقع أن توسع البرتغال بعد وصول داجاما للهند عن طريق رأس الرجاء إنما قام علي حساب العرب أساساً سواء كان تجارياً أم استراتيجيا حيث استقرت قوة البرتغال علي كل ساحل الهند والمحيط الهندي، وبدأ البرتغاليون يعملون بعد ذلك علي ابعاد النفوذ العربي عن ساحل شرق أفريقيا، واستولوا في القرن السادس عشر علي جزر البحرين وأقاموا فيها الحصون وظلوا بها نحو قرن كامل حتي تمكن العرب من طردهم، وفي العقد الثاني من نفس القرن هاجموا عدن مرتين ولكن بدون جدوي وكذلك فعلوا بمسقط حيث نجحوا في البقاء نحو نصف قرن وبذلك بدأ الاحتلال الغربي في العصور الحديثة حيث أسس البرتغال أول أمبراطورية استعمارية الا أنها لم تدم طويلاً بسبب المنافسة الأسبانية في نهاية القرن السادس عشر حيث انتقل اهتمام البرتغال من الشرق إلي البرازيل التي جلب لها البرتغاليون الرقيق الأفريقي بأعداد ضخمة مما جلعهم مؤسسي مدرسة الرق في العصر الحديث وشملت الإمبراطورية الأسبانية بعد ذلك وفي نفس القرن جزر الهند الغربية وأمريكا الوسطي وأمريكا الجنوبية حتي الأرجنتين، ويمكن

القول أنه إذا كان أركان الاحتلال البرتغالي هي التبشير والتجارة واحتلال السواحل، فإن أركان الاحتلال الأسباني هي التبشير والمعادن النفيسة والغزو والاحتلال الاستيطاني وبهزيمة الأرمادا الأسبانية الشهيرة عام ١٥٨٨ من قبل بريطانيا انتهت اسبانيا كقوة بحرية، وظهرت قوي أوربية جديدة ممثلة في فرنسا وهولندا وبريطانيا وهنا نلاحظ أنه بينما ركزت هولندا علي الاحتلال التجاري خلال القرن السابع عشر، نجد أن فرنسا ومن بعدها بريطانيا قد ركزتا بعد ذلك علي الجانب العسكري لبناء امبراطوريات استعمارية ذات أهداف متعددة في بلدان العالم الثالث.

ويمكن التمييز خلال القرن التاسع عشر بين ظاهرتين بارزتين أولهما التعمير أي خروج أوروبا إلي القارات والأقطار الجديدة بقصد الاستيطان، وثانيهما الاحتلال بمعني الغزو والتملك السياسي بقصد الاستغلال ،وبانتشار حوالي ٦٠ مليونا من العنصر الأوروبي الأبيض في القارات الجديدة، أرادت أوروبا أن تحقق عالمية العنصر الأبيض أو أوروبا الكبري، بالولاء والتبعية بدرجة أو بأخري، وبذلك جعل الاحتلال أوروبا قلب العالم ورأسه جغرافياً وسياسياً، وجعل العالم يتمركز حول قبلة أوروبا، كما سعي لما يمكن أن يسمي إقامة الأوروقراطية (أي حكم أوروبا) العالمية علي بقية العناصر البشرية الأخري مما جعل من الاحتلال التقليدي – بعد مروره بمراحل الإبادة ثم الاسترقاق ثم الاحتلال السياسي – صراع أجناس وحركة عنصرية في البلدان فقد حاولت في النهاية أن تتقنع بأقنعة الرياء والزيف فكان لذلك النظريات الإنسانية في

الاحتلال مثل عبء الرجل الابيض ورسالة الحضارة والأب الأبيض أو الأخ الأكبر وغير ذلك مما لايمكن به تبرئة وصمة الاحتلال فالواقع أن سياسات الاحتلال المتعددة كانت تضع مصلحة الدول الاستعمارية فوق كل اعتبار .

أسباب الاحتلال الأوربى للقارة الأفريقية

لم تكد هذه الدُّول تستقرُّ حتى بدأت قوًى استعمارية لا تَقِلُّ خطورة عن البرتغاليين والأسبان،بالتكالب عليها فكلٌّ من فرنسا، وألمانيا، وإنجلترا، وبلجيكا، وهولندا، وإيطاليا، بجانب البرتغال وإسبانيا،تكالبت على القارَّة الأفريقية العاجزة، وكان من جملة الأسباب الرئيسية لاحتلال الأوروبيين للقارة الأفريقية ما حدث من هزيمة الفرنسيين على يَدِ بسمارك المستشار الألماني، وعَقْدِ معاهدة فرانكفورت عام ١٨٧١م، التي أَجْبَرَت فرنسا على التنازل عن الإلزاس واللورين(١) لألمانيا، وهو ما أهَّل ألمانيا من الناحية المعنوية وخاصَّة عند الشباب الألماني، والناحية المادَّية المتمثلة في زيادة الثروات الاقتصادية للبحث عن مناطقَ جديدةٍ لفرض السيطرة، ولزيادة قدرتها التنافسية، من أجْل تحسين صناعتها، وتطوير التجارة الألمانية.

ومع كلِّ هذه المخططات الألمانية لم تَكُنْ ألمانيا على استعداد لمواجهه

١- منطقتان فرنسيتان احتُلتا من قِبَل ألمانيا أثناء الحرب الألمانية الفرنسية عام ١٨٧١م، وقد استردتها فرنسا عقب هزيمة الألمان في الحرب العالمية الثانية.

جديدة ضدَّ أي قوَّة أوروبية أخرى، خشية أن تَعْتَرضَها فرنسا التي لم تَثْأرْ لهزيمتها بعدُ، فاتَّجهت ألمانيا إلى القارة الأفريقية،وكوَّنت في غضون عام واحد أربع مستعمرات شملت كُلًّا من تنجانيقا -تنزانيا حاليًّا- في شرق أفريقيا،والكاميرون وتوجو في الغرب، وناميبيا في جنوب غرب أفريقيا.([1])

كلُّ هذه التحرُّكات الألمانية وما قابلها من تحرُّكات فرنسية استعماريَّة في أفريقيا، دفعت بريطانيا للخروج من عزلتها وحيادها إلي التحرُّك في جنوب القارة، فبدأت الصراعات بين القوى الثلاث، وبدأت التحالفات بين ألمانيا والبرتغال مذكِّرة الأخيرة ما كان لها من مجد قويٍّ يجب إحياؤه من جديد،وقد لاقت المعاهدة البريطانية البرتغالية الموثَّقة عام ١٨٨٤م معارضة قويَّة، أحدثت تقاربًا بين كُلٍّ من ألمانيا وفرنسا([2])، فأسرعت كلُّ قوَّة من هذه القوى في السيطرة على مناطق جديدة في القارة، فتطلعت إيطاليا للسيطرة على بعض الأجزاء وخاصَّة في المناطق الشرقية من أفريقيا، وفكَّر ملك بلجيكا ليوبولد في السيطرة على حوض نهر الكونغو، الذي كان منطقة إستراتيجية([3])، كلُّ هذا بهدف بناء الإمبراطوريات، وتحقيق الأمجاد القوميَّة، وسيادة الرجل الأبيض، وتطبيق النظريَّات

١- عبد الله عبد الرازق: الإسلام وتحدّي الاحتل الالأوربي في أفريقيا ص١٨، ١٩ بتصرف.

٢- المصدر السابق. ٣- يُعتبر حوض نهر الكونغو منطقة استراتيجية بالنسبة لكل من بريطانيا وفرنسا وألمانيا، باعتباره منطقة مهمة للنفوذ التجاري لكل من البلدان السابقة.

العنصرية، كلُّ هذه الأسباب جعلت الدول الأوروبية تسعى سعيًا حثيثًا للجلوس معًا للتفاهم، وهو ما كان مسوِّغًا أساسيًّا لعقد مؤتمر برلين عام ١٨٨٤- ١٨٨٥م ودَعَتْ بريطانيا ألمانيا إلى عقد مؤتمر دَولي لشؤون أفريقيا في برلين، يجمع الدُّول المتصارعة مع روسيا، والنمسا، والدنمارك، والسويد، وإيطاليا، وتركيا، والولايات المتحدة، واتخذ المؤتمر مجموعة من القرارات، كانت في مجملها تَنُصُّ على حُرِّيَّة التجارة في حوض الكونغو والنيجر، وإلغاء الرقيق، وحياد إقليم الكونغو، ووَضْعِه تحت سيطرة ملك بلجيكا، وقرَّر المؤتمر حُرِّيَّة الملاحة، في حوضه وحوض النيجر، وأصدر المؤتمر قراراته التي وضعت اتجاهات تجزئة القارة دون حسابٍ لحقوق مواطنيها؛([1]) فوقع شرق أفريقيا بعد التقسيم تحت الاستعمار، فكانت ممتلكات فرنسا في الشرق الأفريقي الصومال الفرنسي (جيبوتي) ومدغشقر، واحتلَّت إيطاليا الصومال الجنوبي وإريتريا، واحتلَّت بريطانيا الجزء الشمالي من الصومال المعروف حاليًّا بجمهورية أرض الصومال، وجزيرتَيْ زنجبار وتنجانيقا، وكينيا وأوغندا، كما احتلَّت ألمانيا تنجانيقا (أفريقيا الشرقية الألمانية)،واحتلَّت البرتغال موزمبيق([2]) وبالرغم من خروج المؤتمر بالعديد من القرارات والموادِّ، إلاَّ أن المسائل المتمثلة في القضايا

١- مشاكل أفريقيا في عصر الاستقلال- عبد العزيز رفاعي ص٥٦. ٢-مصدر سابق ص٥٧ بتصرف.

الإقليمية الكبرى تمَّت دراستها والاتِّفاق بشأنها في سلسة من الاتِّفاقيات الثنائية امتدَّت عَشْرَ سنوات متواصلة بعد المؤتمر.

وهناك ظروف ساعدت على تجدد حركة الاستعمار وهى:

- نهاية الحروب الأوروبية الداخلية كحروب نابليون (١٧٩٦م-١٨١٥م) والحروب الـ ٦ الممتدة من (١٨٥٤م-١٨٧٨م).

- تحقيق الوحدة القومية في كل من ايطاليا وألمانيا ١٨٧٠ .

- استقرار أوربا بعد مؤتمر برلين الأول ١٨٧٨م والثاني ١٨٨٤م مع تسوية الخلافات الاستعمارية بين الدول الأوربية.

- تفوق أوروبا عسكرياً واقتصادياً.

- تحكم الرأسماليون في توجيه سياسة البلدان الأوروبية.

- ضعف شعوب أفريقيا وآسيا بفعل عدم استفادتها من نتائج الثورة الصناعية.

- عدم تشكل دول وطنية في أفريقيا وآسيا بل عصبية قبلية كانت تهيمن على الأغلبية.

- انتشار الجهل والأمية في معظم مناطق القارتين.

بذلك يمكن استخلاص وتلخيص الأسباب المباشرة لعودة موجة الاحتلال مرة أخرى فى تضافر أسباب كثيرة، اقتصادية، سياسية، دينية و ثقافية شكلت الأسباب المباشرة لموجة الاحتلال التى عانت منها شعوب قارتى أفريقيا وآسيا.

أ- الأسباب الاقتصادية والاجتماعية:

١.الإقتصادية: وهي البحث عن أسواق جديدة لتصريف المنتجات الصناعية والحصول على المواد الخام واستثمار الأموال الفائضة، وذلك بسبب التقدم الكبير في الصناعة خلال القرن ١٩م و ظهرت طائفة من كبار الرأسماليين الصناعيين الذين أغرقوا الأسواق الأوربية بمنتجاتها الهائلة، فلم تستطع الأسواق المحلية أن تستهلكها، فكان لزاما على هؤلاء أن يبحثوا عن أسواق جديدة ليضمنوا تصريفها وازداد التنافس بازدياد الإنتاج فترتب على ذلك كساد في التجارة، مما أدى بالشركات الصغرى إلى الاندماج في المؤسسات الكبرى، وقد تجلّت تلك الظاهرة بعد الأزمة الاقتصادية التي ظهرت عام١٨٧٥م وظهرت طبقة جديدة من الرأسماليين الكبار رأوا أن يستثمروا أموالهم في البلاد المتأخرة التي تحتاج إلى مد السكك الحديدية فيها وإنشاء المصارف والبيوت المالية وأهم الأسباب الاقتصادية:

- البحث عن المواد الأولية لتموين مصانع أوربا بسبب تزايد الطلب المترتب عن تطور الثورة الصناعية.

- البحث عن أسواق لتصريف فائض الإنتاج بفعل مضاعفة الإنتاج الناتج عن تطور الثورة الصناعية فأصبح الإنتاج يفوق الإستهلاك وفي هذا الإطار تضاعف إنتاج المنسوجات القطنية في بريطانيا ١٢ مرة سنة ١٨٣٠م عما كانت عليه في سنة ١٧٦٠ م وزيادة إنتاج الحديد ٤ مرات.

- البحث عن مجال لإستثمار رؤوس الأموال بفعل صعوبة توفر ذلك في أوربا نتيجة تزايد عدد الرأسماليين الذين لم يجدوا مجالا لإستثمار رؤوس أموالهم في أوربا .

ب- الأسباب الاجتماعية: بالإضافة إلى عامل اجتماعي هام هو ازدياد عدد السكان في بعض الدول مما جعل الحكومات والأفراد يعتقدون أن المخرج الوحيد لحل مشكلة السكان وتفريج الأزمة الاقتصادية هو الإقدام على الاستعمار في الخارج

التحرك الصليبى ضد الإسلام

وللحديث عن هذا العهد سنقسِّم دول شرق أفريقيا إلى دول ذات أغلبية مسلمة، وأخرى ذات أقلية مسلمة.

بدأت الصليبية العالمية في التحرك عقب سقوط الأندلس عام ١٤٩٢م، فاتحَّدت كل قوى الصليب بمباركة البابا، بهدف تَعَقُّب المسلمين، والقضاء على آخر معاقلهم على الساحل الأفريقي، ترتَّب على ذلك أن قامت حملات الاحتلال المتتالية في محاولة جادَّة لتطويق المسلمين،وذلك بمساندة ملوك أفريقيا النصارى،وعلى رأسهم ملك الحبشة، لكن الصبغة التي انتحاها كلٌّ من البرتغاليين والأسبان كانت صبغة صليبية صِرفة، من أجل القضاء على المسلمين، وتتبُّع الهاربين من الأندلس([1]).

وصل فاسكو داجاما إلى نهاية أفريقيا عام ١٤٩١م ودار حول القارة الأفريقية حتى وصل إلى الساحل الشرقي، وقد رسا بأسطوله عند مصب نهر أطلق عليه الرحمة، فوصل إلى ثغر موزمبيق في مارس عام ١٤٩٨م، وبعد رحيل فاسكو دا جاما قدِم فرنسيسكو ألميدا([2])، وبدأت ظاهرة جديدة هي الاستعراض بالسلاح، من خلال الأساطيل البحرية البرتغالية في المحيط الهندي وعلى الرغم من الترحيب الذي كان يَلْقاه البرتغاليون من العرب والأفارقة إلا أن السياسة البرتغالية المتَّبعة كانت

١- الإسلام وتحدّي الاحتلال الأوربي في أفريقيا- عبد الله عبد الرازق ص٩، ١٠. ٢- هو أحد قوّاد الملك مانويل الأول ملك البرتغال أرسله لاحتلال الهند، واستكشاف المناطق الساحلية المواجهة لبحر العرب.

تعتمد على استعراض القوَّة، والبطش في التعامل، ولما احتلَّ البرتغاليون جزيرة زنجبار في الساحل الشرقي الأفريقي كان الهدف الأساسي لها هو محاربة الإسلام، وإجهاض الإمارات الإسلامية في شرق أفريقيا، وهو ما اتَّضح جليًّا حينما استطاعت البرتغال عام ١٥٤٢م أن تساعد الحبشة المسيحية، وأن تمنع القوَّة التركيَّة الموجودة في سلطنة عدن الصومالية من دخول المملكة الحبشية المسيحية(١).

استقرَّ الأمر للبرتغاليين في الفترة ما بين ١٤٩٨م إلى ١٦٩٨م، قاموا خلالها بتكثيف مخططهم، وهو الدعوة للإنجيل والمسيح، وكانت الحروب الشرسة التي قامت بين البرتغاليين وقاطني شرق أفريقيا - خاصَّة المسلمين منهم- بمنزلة حروب صليبية حقيقية على غرار ما حدث في حوض البحر المتوسط خلال القرن الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين وحينما سقطت البرتغال في يد ملك أسبانيا فيليب الثاني، وإعلانها تابعة لسلطان أسبانيا عام ١٥٨٠م،بدأت البرتغال في فُقْدَان مستعمراتها الأفريقية،بسبب ضعف مواردها البشرية؛ فهي دولة صغيرة محدودة المساحة والسكان، وهو ما أدَّى إلى عدم قدرتها على

١- الإسلام والمسلمون في شرق أفريقيا -عبد الفتاح مقلد الغنيمي- ص١٧٣.

السيطرة التامة على هذه الإمبراطورية الساحلية الكبيرة، التي بسطت نفوذها عليها. ([1])

الموقف الفرنسي

تحتل فرنسا مكانة متزايدة الأهمية في نشاط الدبلوماسية العربية، وحققت فرنسا بمواقفها الأخيرة بالوقوف إلى جانب الحق في أزمة العراق مكاسب هائلة في الشارع العربي من طنجة وحتى مسقط ولفهم الموقف الفرنسي علينا أن نفهم التطورات الداخلية في فرنسا ليسهل تحديد أهداف سياستها الخارجية ومن ثم إمكانيات وحدود التوافق مع هذه السياسة .

- شهدت فرنسا في السنوات الأخيرة زيادة واضحة في عمليات الإنتاج ورؤوس الأموال للوصول بالمشروعات إلى الحجم الدولي القادر على المنافسة وفتح المنافذ والأسواق لكل منهما، وترجع هذه الزيادة إلى أن تقدم العلوم والتكنيك لم يعد يتم اليوم بطريقة بطيئة ومستمرة بل يتحقق في قفزات تتتابع بسرعة ويتطلب تطوير قوى الإنتاج على أساس رؤوس أموال ضخمة خاصة بعد نشأة عامل إضافي أصبح أساسياً في مجال الإنتاج هو تمويل أبحاث مكلفة وطويلة كي لا تتخلف المشروعات الإنتاجية عن غيرها .

١- مصدر سابق ص١٨٥

- تفاقم الأزمة العامة للنظام الإمبريالي العالمي عقب سقوط الاتحاد السوفييتي وتصاعد الحركة الاشتراكية في أوربا الغربية المجاورة لفرنسا – البرتغال – انجلترا– ألمانية ....- وظهور الولايات المتحدة الأمريكية كمهيمن اقتصادي وحيد تحت ستار العولمة، كل هذا أثر على حركة السوق لفرنسا وفاقم من مشاكلها الاقتصادية .

- إن الحكم الاشتراكي الطويل في ظل فرنسوا متيران وتنامي الحركة الوطنية اليمينية مؤخرا أتاح للبرجوازية الاحتكارية الفرنسية أن تحول القطاع المؤمم في مجال الفحم والكهرباء والغاز والبنوك الكبيرة وشركات التأمين إلى قطاع دولة تابع للحكومة والى جهاز من أجهزتها التي تخدم تلك الاحتكارات، وساعد قطاع الدولة بما قدمه من خدمات وتعويضات إلى ازدياد التركز في رؤوس الأموال .

- انهيار الاحتلال الفرنسي تحت ضربات حركات التحرر الوطنية في العالم إضافة لتواجد الولايات المتحدة الأمريكية في تلك المواقع التي خسرتها فرنسا في آسيا وأفريقيا أدى إلى عودة رؤوس أموال ضخمة كانت مستثمرة فيها كل هذا أتاح لفرنسا فرصة الاستخدام الأمثل لجهاز الدولة ولسياستها في الداخل والخارج لمواجهة المنافسة الضاربة مع الدول الغربية الأخرى خاصة الولايات المتحدةالأمريكية، وبالفعل حققت فرنسا الأساس المادي للصمود في المنافسة الدولية ونجحت في استخدام السياسة الخارجية ومختلف إمكانات الدولة كالقروض والمساعدات

وغيرها لغزو المواقع بأسلوب جديد يختلف عما كان شائعاً في الجمهورية الرابعة حيث وفرت هذه السياسة أساساً مادياً واقتصادياً وإيديولوجياً للشركات الفرنسية لمواجهة المنافسة الضاربة مع الدول الإمبريالية الأخرى أما السياسة الخارجية فكانت انعكاساً مباشراً للمصالح السائدة في فرنسا من تكوين قوة رادعة خاصة وسلوك سياسة خارجية متوازنة تجاه آسيا وأفريقيا والشرق الأوسط وبشكل متمايز عن المعسكر الأمريكي البريطاني، وأدت سياسة التمايز هذه والاعتماد على التسلل المتدرج واستخدام المعونات والقروض العامة للدول النامية وإعادة جدولتها إلى اشتداد ساعد فرنسا في النضال ضد منافسيها وتعويض الضعف النسبي في إمكانياتها بالمقارنة مع الولايات المتحدة الأمريكية، ولكن يجب ألا نغالي في هذا التمايز لأن تدويل الإنتاج ورأس المال وتشابك المصالح وتصاعد النضال الطبقي وظهور مناهضوا العولمة يدفع فرنسا إلى نوع من التضامن الإمبريالي .

ولقد ركزت السياسة الفرنسية مؤخراً على ثلاثة مجالات رئيسية بغية إيجاد منافذ لصناعتها وتجارتها وتحقيق مكانة دولية فاعلة ولائقة، وهذه المجالات هي :

١- العلاقات مع المعسكر الاشتراكي السابق: لم تترك فرنسا حلفاءها ينفردوا وحدهم بالتعامل مع السوق الشرقي الواسع، وسعت منذ انهيار الاتحاد السوفيتي لإيجاد علاقات تعاون وتبادل وتنسيق مع روسيا

والصين ضاربة بعرض الحائط بكل القيود والتحريمات الأمريكية مما اضطر أمريكا إلى الإسراع بالتعاون مع هذه الدول .

٢- الاتحاد الأوربي: اتجهت فرنسا أوربيا لمحاولة إيجاد كتلة قوية تقف في وجه التسلط الأمريكي وكانت الخطوة البارزة في هذا الاتجاه تكوين الاتحاد الأوربي الذي عملت فيه طويلا على منع انجلترا من الانضمام إليه حتى لا تنافسها فيه وحتى لا يتسرب الأمريكيون من ورائها إلى هذا الاتحاد، ولما فشلت فرنسا في منع انضمام انجلترا حاولت تشكيل تحالف مع ألمانيا رغبة في تشكيل نواة أوربية تقف في مواجهة التناقضات التي تأخذ بخناق الاتحاد والسوق الأوربية .

٣- التعاون مع بلدان العالم الثالث: خاصة المستعمرات الفرنسية السابقة في آسيا وأفريقيا، عبر ثلاث محاور:

أ- التعاون والتنسيق مع هذه الدول في إطار منظمة الدول الفرانكفونية.

ب- الدعوة إلى جعل البحر الأبيض المتوسط بحيرة سلام خاضعة لسيادة الدول المتشاطئة عليه .

ت- التعاون مع الدول العربية نظرا لحاجة فرنسا إليها في الحصول على المواد الأولية والنفط.

واتجاه فرنسا إلى البلاد العربية والبحر المتوسط يوفر لفرنسا مواقع ثابتة وساحة خلفية تمارس فيها دورها كدولة كبرى، خاصة بعد تجمد الكادر الأطلسي منذ فترة طويلة بسبب العباءة الأمريكية، إضافة إلى

الأموال والرشاوى الأمريكية التي اشترت دول أوربا الشرقية بحيث أصبح التعاون مع هذه الدول شبه مستحيل وقد ظهر هذا الخلاف إلى العلن في أزمة العراق الحالية مما دعا الرئيس الفرنسي إلى وصف دول أوروبا الشرقية المؤيدة للعدوان الأمريكي على العراق بألفاظ نابية !.

كل هذا دفع فرنسا إلى الاتجاه جنوبا صوب العرب وساعدها على ذلك التورط الأمريكي مع إسرائيل، يقول: فيليب دي يان روبير في منطقة الشرق الأوسط هناك أم تعيسة تنتظر أي شيء من فرنسا وفعلا استطاعت فرنسا ودون تكاليف مادية تذكر أن تحقق لنفسها الكثير، لمجرد أنها اتخذت بعض المواقف العادلة فى حق القضايا العربية ففرنسا ومنذ البداية أدانت اغتصاب الأراضي بالقوة في فلسطين، وأيدت إقامة دولة فلسطينية مستقلة، وتوجد مفوضية لمنظمة التحرير الفلسطينية في باريس أيام كانت فيه المنظمة على قائمة الإرهاب الأمريكية، أيضاً المواقف الفرنسية تجاه العدوان الصهيوني على لبنان كانت أقرب إلى العدل ومتميزة عن مثيلتها الأمريكية ،وتوجت هذه المواقف بتفاهم تم بين إسرائيل والمقاومة اللبنانية برعاية فرنسية وفيه تم تشريع المقاومة .

وأخيرا وصل تصاعد الموقف الفرنسي إلى حد استعمال الفيتو ضد العدوان على العراق مع العلم أن فرنسا لم تستعمل الفيتو إلا لمرات قليلة ،ولم تكتف فرنسا بهذا بل إنها تقود حالياً جبهة من دول كثيرة مناوئة

للحرب ونظرة سريعة على أرقام التبادل التجاري بين فرنسا وإسرائيل ومقارنتها مع حجم التبادل التجاري الفرنسي العربي تدل على أن الأخير أكبر بكثير حيث أن نسبة الصادرات الفرنسية إلى الدول العربية وصل إلى ١٠ % من مجموع صادراتها في حين لا تتجاوز صادراتها إلى إسرائيل نسبة ٠،٤٣ % من مجموع صادراتها، أيضاً تبلغ الواردات الفرنسية من الدول العربية ١٢% من مجموع وارداتها الكلية بينما الواردات من إسرائيل لا تتجاوز ال ٠،١٤ %، وطبعا بقية الأرقام الخاصة ببيع الأسلحة والاستثمارات والعمالة الخارجية تصب كلها في نفس المنحى .